مجلة الصوتيات المجلد 15 / العدد 01 2019 ص 97- 106

مصطلح الاعتراض عند الزّمخشري من خلال تفسيره الكشّاف

The concept of the incise in "Elkachaf" by AZAMAKHCHARI

سماح إمكراز *، علي حميداتو
قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الأداب واللغات ، جامعة البليدة 2
قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الأداب واللغات ، جامعة البليدة 2

تاريخ تقديم البحث 18-09-2018 تاريخ المراجعة 2019/3/10 تاريخ القبول 18-04-2019

ملخص

يعدّ مصطلح الاعتراض من أهم وأشهر المصطلحات التي اهتم بها علم البلاغة عامة، وعلم المعاني خاصة ، كما لا نغفل اهتمام النّحويين به أيضا ، غير أنّ هذا المصطلح تداخل واختلط بمصطلحات متعددة كالتّتميم، والاحتراس، والتّكميل والتّذييل... إلى أن استقر مفهومه في أذهان الجميع بكونه الكلام الذي يعترض فيفصل بين كلامين، وهذا المعترض هو ما سمي بالجملة الاعتراضية .

و لقد اهتم الزّمخشري بالاعتراض وأولاه عنايته وهو يفسّر كتاب الله - عزّ وجلّ- فتعرض لأقسامه المتعدّدة، ولأغراضه المتنوّعة ،غير أنّه لم يورد تعريفا له.

فمن أقسام الاعتراض باعتبار موقعه في تفسير الكشّاف نجد: الاعتراض بين المبتدأ والخبر، والاعتراض بما أصله مبتدأ وخبر وذلك في أجزاء الجملة الاسمية، أمّا ما تعلّق بالجملة الفعلية فقد ضم الاعتراض بين الفعل ونائب الفاعل، والاعتراض بين الفعل والمفعول به،والاعتراض بين الفعل والمفعول لأجله،والاعتراض بين الفعل والمفعول المطلق، كما لم يغفل عن الاعتراض بين المتبوع والتّابع، فتحدّث في هذا الصدد عن الاعتراض بين المعطوف عليه والمعطوف والاعتراض بين الصفة والموصوف والاعتراض بين المبدل منه والبدل والاعتراض بين الحال وصاحبها، والاعتراض بين الموصول وصلته، كما تناول الاعتراض بين القسم وجوابه، والاعتراض بين الشّرط وجوابه في باب حديثه عن الاعتراض بين المتلازمين.

وقد كان الزمخشري يركّز في كشّافه على الأغراض البلاغيّة التي يؤدّيها الاعتراض والتي نذكر منها: الدّعاء، التّوكيد التّقرير،التّهكم، الوعيد، التّسلية التّعظيم، دفع الإيهام، الحثّ على الاستغفار...

الكلمات الدالة:مصطلح، الاعتراض الكشّاف، الزمخشري ....

Abstract

The incise is considered one of the most important concepts and the most used in the science of rhetoric in general and semantic science in particular, as we can not ignore the interest that this concept brings to grammarians, too. However, the concept of the incise has been amalgamated with other concepts until its meaning is stabilized by indicating an independent or principal proposition that cuts or joins another to decide between the two and is designated Proposal incise.

In the interpretation of the Holy Qur'an, Azamakhchari gave considerable importance to the incise by evoking its multiple categories and its various functions, without presenting its definition. Among the categories of the incise according to its position in the interpretation "Elkachaaf" we find: the incise between the subject and the complement and that in the nominative sentence, whereas in the verbal sentence, the incise is positioned between the verb and subject, the verb and complement of direct object, the verb and the complement of indirect object, the subject and its adjective, as the incise between the proposition and its subordinate.

Azamakhchari gave great importance in his book "Elkachaaf" to the rhetoric ensured by the incise, such as: prayer , insistence , report , sarcasm, the threats , divertissement. glorification ,The urge, to seek forgiveness .. and many others.

Mots clés The concept. incise . "Elkachaf". AZAMAKHCHARI

* imkrazsameh@gmail.com

مقدمة

إنّ مصطلح الإعتراض من المصطلحات التي نالت قسطا كبيرا من اهتمام الباحثين قديما و حديثا، فقد درسه بعض البلاغيّين في علم المعاني، و البعض الآخر درسه في علم البديع ، كما تناوله النّحاة ،والمفسّرون في سياق تفسير آيات الذّكر الحكيم .

وقد جاء اهتمامنا بمصطلح الاعتراض عند مفسّرنا الجليل جار الله الزّمخشري من خلال تفسيره الكشّاف، وسنحاول الإجابة عن الإشكالات الآتية: ما مفهوم الاعتراض؟وما هي أهم أقسامه باعتبار موقعه؟ و ما هي أهم أغراضه في الكشّاف؟

1- مفهوم الاعتراض :

أ- **لغة:** يُعرّف ابن منظور الاعتراض في لسان العرب بقوله: (عارض الشّيء بالشّيء معارضة :قابله،وعرض الشّيء، يعرض واعترض: انتصب ومنع وصار عارضا كالخشبة المنتصبة في النّهر والطّريق ونحوها تمنع السّالكين سلوكها ، ويقال اعترض الشّيء دون الشّيء أي حال دونه.)[1] فالمفهوم اللّغوي للاعتراض يقوم على معنى المنع .

أمّا ابن فارس في تعريفه للاعتراض فيراه قولا مفيدا يتوسّط الكلام وتمامه؛ إذ يقوله: (**ومن سنن العرب** ،أن يعترض بين الكلام وتمامه كلام، ولا يكون هذا المعترض إلاّ مفيدا ، ومثال ذلك أن يقول القائل *اعملْ -واللّه ناصري- ما شئت* ،إنّما أراد:اعمل ما شئت واعترض بين الكلام ما اعترض)[2] .فالعرب تستعمل الاعتراض كثيرا في كلامها ولا يكون عندها إلاّ مفيدا يهدف إلى غرض بلاغي معيّن.

ب- **اصطلاحا:** لقد تداخل مصطلح الاعتراض في البلاغة مع مصطلحات أخرى كالحشو، والتّكميل، والتّذييل، والاحتراس، والالتفات، ومن أوائل علماء البلاغة الذين تناولوا هذه المصطلحات نجد ابن المعتز في كتابه البديع ، و قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشّعر،و أبو هلال العسكري في كتاب الصّناعتين وعنه يقول: (الاعتراض، وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم، ثم يرجع إليه فيتمّه)[3] ،غير أنّ المعنى الاصطلاحي الذي اتّفق عليه البلاغيّون وشاع بينهم بأنّه (ضرب من ضروب الإطناب، وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنىً بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام كالتّنزيه في قوله تعالى: **وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ** (سورة النّحل،الآية:57))[4] فالاعتراض في البلاغة لا يأتي إلاّ لغرض بلاغي، وفي النّحو نجد الجملة الاعتراضية لا محلّ لها من الإعراب، وبالتالي نفهم من هذا القول بأنّ مصطلح الاعتراض لم يكن حكرا على البلاغة فحسب بل

وجد قبل ذلك عند النّحاة في ثنايا كتبهم، ومنهم هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ابن جني، إذ أفرد للاعتراض بابا خاصّا أكّد في مقدّمته بأنّ الاعتراض وجد في القرآن العظيم،كما أنّ العرب عرفته في كلامها شعرا كان أم نثرا إذ يقول: (اعلم أنّ هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن، وفصيح الشّعر، والكلام المنثور، وهو جارٍ عند العرب مجرى التّأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله والمبتدأ و خبره، وغير ذلك ممّا لا يجوز الفصل فيه بغيره إلاّ شاذا أو متأولا)[5] . فابن جني من خلال مقولته هذه يشير بأنّ الاعتراض يكون بين أجزاء الجملة الفعلية والاسميّة، ويخرج عنده لغرض التّوكيد.

الاعتراض عند الزّمخشري أقسامه وأغراضه :

تحدّث الزّمخشري عن الاعتراض في مواضع كثيرة في كشّافه، وهو يتفنّن في تفسير آيات الذّكر الحكيم تفسيرا بلاغيّا، فتعرّض لأقسامه المتعدّدة، وأغراضه البلاغيّة المتنوّعة غير أنّه لم يقدّم مفهوما له، وسنبدأ بتقديم أقسام الاعتراض عن مفسّرنا ثم نعرض أهمّ أغراضه البلاغيّة.

2- أقسام الاعتراض عند الزّمخشري (باعتبار موقعه):

أوّلا : الاعتراض بين أجزاء الجملة الاسميّة:

أ- الاعتراض بين المبتدأ والخبر:

وهو أن يجيء الاعتراض بين مبتدأ وخبر كما جاء في قوله تبارك و تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (42)(سورة الأعراف،الآية:42.)،يقول الزّمخشري: (جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للتّرغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النّعيم الخالد، مع التّعظيم بما هو في الوسع)[6]، فالزّمخشري يجعل -لا نكلّف نفسا إلا وسعها- اعتراض بين المبتدأ وهو الاسم الموصول (الذين) ، وخبره الجملة الاسميّة (أولئك أصحاب الجنة).

ب-الاعتراض بين ما أصله مبتدأ وخبر:

والمقصود من قولنا ما أصله مبتدأ وخبر هو الجملة الاسميّة بعد دخول إنّ أو أحد أخواتها عليها؛ أو كما تُعرف عند النّحاة بالأحرف المشبّهة بالفعل، ومن الأمثلة في الكشّاف على هذا النّوع من الاعتراض ما جاء في قول الله عزّ وجلّ: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ**

نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا(31) (سورة الكهف،الآية: (30،31)،يقول الزّمخشري: (أولئك خبر إنّ و-إنّا لا نضيع -اعتراض)[7] .

ثانيا:الاعتراض بين أجزاء الجملة الفعليّة:

أ:بين الفعل ونائب الفاعل:

لم يعرض الزّمخشري وهو يتحدّث عن الاعتراض وأقسامه للاعتراض بين الفعل والفاعل، بل تحدّث عنه بين الفعل ونائب الفاعل، وهذا ما فهمناه من تفسيره لقوله تعالى:**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** (180) (سورة البقرة،الآية:180)، يقول الزّمخشري:(الوصيّة فاعل كُتب، وذكر فعلها للفاصل)[8] ،فقد ذكر الزّمخشري بأنّ (الوصيّة) فاعل، وهي في أصل إعرابها نائب فاعل للفعل الماضي المبني للمجهول (كُتب) ، فجملة الشّرط -إن ترك خيرا- اعتراض بين الفعل كُتب ونائبه الوصيّةُ.

ب:بين الفعل والمفعول به:

وهو أن ينحصر الاعتراض بين الفعل والمفعول به، ومنه ما جاء في قوله تعالى: **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64)** (سورة الزمر،الآية:.64)،.يقول الزّمخشري في معرض تفسيره: (أفغير الله منصوب بأعبد، وتأمروني اعتراض، ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم)[9] فجملة –تأمروني- معترضة بين الفعل أعبد و مفعوله المتقدّم عليه غير الله.

ج-بين الفعل والمفعول لأجله:

وهو أن يتوسّط الاعتراض بين الفعل والمفعول لأجله، ومنه ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)(سورة الحجرات،الآية: 7،8)**، يقول مفسّرنا: (فضلا مفعول له ،أو مصدر من غير فعله... ،والجملة التي هي أولئك هم الرّاشدون اعتراض)[10] .فقد قدّر الزّمخشري في هذه الآية فضلا مفعول لأجله للفعل حبّب وكذلك الفعل زيّنه وكرّه ، فتقدير الكلام حبّب إليكم الإيمان فضلا ونعمة منه لكم.

د- بين الفعل والمفعول المطلق:

قد يجيء الاعتراض بين الفعل والمفعول المطلق، ومنه في قول الله تعالى:﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَولادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأنْثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فلأمه السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (11)** (سورة النّساء،الآية:11)،.يقول الزّمخشري: (ففي قوله تعالى : آباؤكم وأبناؤكم... هذه الجملة اعتراضيّة، ومن حقّ الاعتراض أن يؤكّد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدّم)[11] .فيبدو أنّه قدّر فريضة مفعول مطلق لفعله المحذوف، وبالتّالي يكون الاعتراض واقعا بين الفعل ومعموله.

ثالثا:الاعتراض بين المتبوع والتابع

أ-الاعتراض بين المعطوف عليه والمعطوف:

كثر هذا النّوع من الاعتراض عند صاحب الكشّاف، وخاصة الاعتراض بين الجملتين ومثال ذلك ما جاء في قوله الله تعالى: **فَسُبْحانَ اللَّه حينَ تُمْسُونَ وَحينَ تُصْبحُونَ (17) وَلَهُ الْحَمْدُ في السَّماوات وَالْأَرْض وَعَشيًّا وَحينَ تُظْهرُونَ (18)** (سورة الرّوم،الآية: 17، 18).يقول جار الله مفسّرا: (وقوله وعشيًّا متّصل بقوله حين تمسون، وقوله: وله الحمد في السّماوات والأرض اعتراض بينهما)[12] . فعشيًّا ظرف معطوف على الظرف حين تُمسون ،وجملة -وله الحمد في السّماوات والأرض- معترضة بين المعطرف عليه والمعطوف.

ب-الاعتراض بين الموصوف والصّفة :

يمثل عالمنا لهذا النوع من الاعتراض بما جاء في قوله تعالى: **وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** (76)(سورة الواقعة،الآية:76). في تفسير هذه الآية يقول عالمنا الجليل: (اعتراض في اعتراض لأنّه اعتراض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله: إنّه لقرآن كريم، واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته)[13]. فجملة الشّرط -لو تعلمون- اعتراض بين (قسم) الموصوف وبين صفته عظيم .

ج-الاعتراض بين المبدل منه والبدل:

قد جاء في كلام الله عزّ وجلّ: **إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (105) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَلكِنْ**

مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (106)(سورة النّحل،الآية: 105،106)، قال الزّمخشري مفسرا: (من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله، على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنّما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه) [14] .فالمبدل منه والبدل كيلاهما اسم موصول، الأوّل خاص والثّاني عام .

د- الاعتراض بين الحال وصاحبها:

بمعنى أن يقع الاعتراض بين الحال وصاحب الحال، ومنه ما جاء في قوله تعالى: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) (سورة يوسف:الآية99) .يقول مفسّرنا في تفسيره: (والتّقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ،ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال)[15] .

هـ- الاعتراض بين الصّلة والموصول:

يقول الله تعالى في محكم آياته : هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32)(سورة ق،الآية:32) يقول الزمخشري: (وقرئ توعدون بالتّاء و الياء، وهي جملة اعتراضية، ولكلّ أوّاب بدل من قوله للمتّقين)[16]. فجملة –توعدون- اعتراضيّة بين ما الموصولة، و جملة صلة الموصول "لكلّ أواب".

رابعا: الاعتراض بين المتلازمين:

أ-الاعتراض بين القسم وجوابه:

لقد تعدّد هذا النّوع من الاعتراض في تفسير الكشّاف، ومنه ما جاء في قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لقرآن كَرِيمٌ (77) (سورة الواقعة،الآية:75،76، 77)، يقول الزّمخشري: (اعتراض في اعتراض لأنّه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله: إِنَّهُ لقرآن كَرِيمٌ، واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته)[17] ، فالقسم في قوله تعالى :فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ، وجواب القسم في قوله: إنّه لقرآن كريم، والاعتراض بين القسم وجوابه في جملة الشّرط وهي وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم.

ب: الاعتراض بين الشّرط وجوابه:

لقد تحدّث المعتزلي جار الله عن الاعتراض الذي يقع بين الشّرط وجواب الشّرط ومثّل له من آيات الذّكر الحكيم، و منه ما جاء في قوله تبارك وتعالى : **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتًا أَوْ نَهارًا ماذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50) أَثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51)** (سورة يونس، الآية: 50،51،) يقول مفسّرنا مبيّنا الاعتراض: (ويجوز أن يكون *ماذا يستعجل منه المجرمون* جوابا للشّرط، كقولك إن أتيتك ماذا تطعمني؟، ثمّ تتعلّق الجملة بأرأيتم ،وأن يكون *أثمّ إذا ما وقع آمنتم به* جواب الشّرط، وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا)[18] .

3- الأغراض البلاغيّة للاعتراض عند الزّمخشري في تفسيره:

كان الزّمخشري وهو يتحدّث عن فنّ من الفنون البلاغيّة، أو مصطلح من مصطلحاتها في الكشّاف، سواء ما كان منه في علم المعاني أو في علم البيانّ، وكذا ما كان في علم البديع يهتمّ باستخراج الأغراض البلاغيّة التي يؤدّيها في سياق الآية الكريمة، ومن أغراض الاعتراض في الكشّاف نذكر:

أ- الدّعاء : منه ما جاء في قوله تبارك وتعالى: **وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)** (سورةالتّوبة،الآية:.98)، يقول الزّمخشري: (عليهم دائرة السّوء ،دعاء معترض دعا عليهم بنحو ما دعوا به ،كقوله عزّ وجلّ: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم)[19] .

- **ب- التّوكيد:** كما في قوله تعالى: **ثَمٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**: (143)(سورة الأنعام: الآية:143) يقول الزّمخشري: (فإن قلت: كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوالي بينه؟ قلت: قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبيّ من المعدود، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ منّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم،فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها، والاحتجاج على من حرّمها تأكيد وتسديد للتّحليل، والاعتراضات في الكلام لاتساق إلاّ للتوكيد)[20] .

ج- التّقرير: ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ**

قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)،(سورة البقرة: الآية25). يقول الزّمخشري: (فإن قلت: كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام؟ قلت: هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعْم ما فعل، ورأى من الرّأي كذا وكان صوابا ،ومنه قوله تعالى: **وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** (34)(سورة النّمل:.الآية:34) وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتّقرير)[21] .

د- التّهكم : قال تعالى: **وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا(سورة النّساء:الآية:73).** يقول الزّمخشري: (اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولنّ وبين مفعوله وهو يا ليتني، والمعنى كأن لم تتقدّم له معكم مودّة، لأنّ المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقونهم في الظّاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن، والظّاهر أنّه تهكّم لأنّهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدّهم حسدا لهم،فكيف يوصفون بالمودّة إلاّ على وجه العكس تهكّما بحالهم)[22] .

- **ع- الوعيد:** في قوله تعالى: **أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَما كانُوا يُبْصِرُونَ (20)** (سورة هود،الآية:20)، يقول الزّمخشري: (وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد)[23] .
- **ك- التّنزيه:** قال تعالى: **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(191)** (سورة آل عمران،الآية: 191). يقول الزّمخشري: (وسبحانك اعتراض للتّنزيه من العبث، وأن يخلق شيئا بغير حكمة)[24] .
- **ل- التّسلية:** يقول الله عزّ وجلّ: **وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ(2)**(سورة البلد،الآية:2) يفسّر الزّمخشري قائلا: (أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أنّ الإنسان خُلق مغمورا في مكابدة المشاقّ والشّدائد، واعترض بين القسم والمقسم عليه، وبقوله وأنت حل بهذا البلد يعني :ومن المكابدة أنّ مثلك على عظم حرمتك يستحلّ بهذا البلد الحرام كما يستحلّ الصيد في غير الحرم ...وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقسم ببلده، على أنّ الإنسان لا يخلوا من مقاسات الشّدائد، واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتّسلية والتّنفيس عنه)[25] .

- **ن- التّعظيم** : في قوله تعالى: **فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لقرآن كَرِيمٌ (77)**،(سورة الواقعة،الآية: 75 ،76 ،77). يقول الزّمخشري: (فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله: وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم، أو أراد بمواقعها منازلها ومسايرها، وله تعالى في ذلك من الدّليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف. وقوله: **وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** اعتراض في اعتراض لأنّه اعتراض به بين المقسم والمقسم عليه، وقوله: **إِنَّهُ لقرآن كَرِيمٌ** واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته) [26] .
- **و- دفع الايهام:** قال تعالى: **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1)** يقول الزّمخشري: (فإن قلت: أيّ فائدة من قوله تعالى: والله يعلم إنّك لرسوله؟ قلت :لو قال : قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يشهد إنّهم الكاذبون لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب ،فوسط بينهما قوله : والله يعلم إنّك لرسوله ليميط هذا الإيهام) [27] .
- **ي- الحثّ على الاستغفار:** قال تعالى: **والَّذِينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)** (سورة آل عمران،الآية:135) يقول الزّمخشري: (ومن يغفر الذّنوب إلاّ الله، وصف لذاته بسعة الرّحمة وقرب المغفرة، وأنّ التّائب من الذّنب عنده كمن لا ذنب له...وتنشيط للتّوبة وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط، وإن جلّت فإنّ عفوه أجلّ، والمعنى أنّه وحده معه مصحّحات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه)[28] .

وخلاصة القول إنّ الزّمخشري كغيره من المفسّرين أعطى للاعتراض أو ما يطلق عليه بالجملة الاعتراضيّة مجالا أوسع عندما لم يحصره في جانبه النّظري؛ بتقديم التّعريفات والتّقسيمات كما فعل النّحاة والبلاغيّون قبله، بل بثّ فيه روح الحياة حين اهتمّ بجانب التّطبيق فيه، ووظّف الاعتراض في بيان معاني القرآن الكريم، وركّز على أغراضه البلاغيّة المتعدّدة. ويمكن أن نلخّص أقسام الاعتراض باعتبار الموقع عند صاحب التّفسير مما سبق فيما يأتي:

-الاعتراض بين المبتدأ والخبر، والاعتراض بما أصله مبتدأ وخبر، وذلك في أجزاء الجملة الاسميّة، أمّا فيما تعلّق بالجملة الفعليّة فقد ضمّ: الاعتراض بين الفعل ونائب الفاعل والاعتراض بين الفعل والمفعول به، والاعتراض بين الفعل والمفعول لأجله، والاعتراض بين الفعل والمفعول المطلق، كما لم يهمل الاعتراض بين المتبوع والتّابع فتحدث في هذا الباب عن

الاعتراض بين المعطوف عليه والمعطوف، والاعتراض بين الصّفة والموصوف، والاعتراض بين المبدل منه والبدل، والاعتراض بين الحال وصاحبها، والاعتراض بين الموصول وصلته، كما تناول الاعتراض بين القسم وجوابه، والاعتراض بين الشّرط وجوابه وذلك في باب حديثه عن الاعتراض بين المتلازمين. ولم يكتفي عالمنا بذكر الأقسام فحسب بل صبّ تركيزه في استنطاق الأغراض البلاغيّة للاعتراض من خلال تفسيره لآيات الذّكر الحكيم، والتي نذكر منها: الدّعاء التّوكيد،التّقرير،التّهكم الوعيد، التّسلية،التّعظيم، دفع الإيهام، الحثّ على الاستغفار...

– هوامش البحث

[1] - ابن منظور،**لسان العرب**،دار صادر ، بيروت، (د،ط)،1992 ،مادة (ع.ر.ض)، ص:167 /168.

[2] - أحمد ابن فارس، **الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها**،مطبعة المؤيد ،القاهرة،(د،ط)،1910،ص209.

[3] - أبو هلال العسكري،الصّناعتين الكتابة والشّعر، دار إحياء الكتب العربية،عيسى بابي الحلبي وشركاؤه ،تح: علي محمد البجاوي،محمد أبو الفضل ،إبراهيم،ط1952،1 ، ص394.

[4]- بدوي طبّانة ، **معجم البلاغة العربيّة**،دار المنارة ،ط3 ، 1977، ص:409.

[5] - ابن جني،الخصائص، ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط4،(د-ت)،ص:159.

[6] - الزّمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر،**الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل** دار المعرفة، بيروت،لبنان،(د،ط)،(د،ت)،ص:62.

[7] - نفسه،ج2 ،ص389.

[8] - نفسه،ج1،ص 112.

[9] - نفسه،ج3،ص355 .

[10] - نفسه ج5 ، ص570 .

[11] - نفسه ، ج1 ، ص254 .

[12] - نفسه، ج3 ، ص200 .

[13] - نفسه، ج6 ، ص38 .

[14] نفسه ، ج2 ،ص345 .

[15]- نفسه،ج2 ، 276 .

[16] - نفسه،ج6 ،ص602 .

[17] - نفسه،ج6 ،ص38 .

[18] - نفسه،ج2،ص193

[19] - نفسه، ج2،ص 168 .

[20] - نفسه،ج2،ص45 .

[21] - نفسه،ج1،ص53 .

[22] - نفسه،ج1،ص .280 .

[23] - نفسه،ج2،ص212 .

[24] - نفسه،ج1،ص237 .

[25] - نفسه،ج6،ص375 .

[26] -نفسه، ج6،ص38 .

[27] - نفسه، ج6، ص 122.

[28] - نفسه، ج1 ،ص218 .